



يا عنب الخليل

للشاعر عز الدين المناصرة

منشورات - دار العودة - بيروت

والآن الى ديوان « يا عنب الخليل » منذ البداية .. في بداية الديوان نجد ان الشاعر قد اختار بعض الابيات الشعرية من الشعر العربي القديم ليقول لنا : الى اين يتجه ديوانه .. فبعد قراءة الابيات المختارة تشعر ان الاختيار لم يكن عبثا بل ان كل بيت يدل على تجربة من تجارب الديوان :

... القصيدة الاولى في الديوان « ملحوظة اولى » قصيدة مركزة جدا توضح حال الفلسطيني في المنفى بعد الخامس من حزيران :

رسائل تجيئني مختصرة
حروفها معودة كأنها من ذهب او ماس
اهكذا يعيش كل الناس !!!
ام وحدنا نموت فوق النطق تحت الفاطرة
رسائل تلجئة الاحساس
لكني نسيت انها مفامرة
ان نكتبي حرفا به مرارة الشوق ..
وصدق الذاكرة
نسيت ان كل حرف في الكتابة
قد صمته هيئة الصليب والرقابة
بداية نهاية مكررة
يا حزن قد ذوبتني
رميتني للعتبات المفجرة .

وفي قصيدته الثانية « ناطوران » نرى اثر الاغاني الفلكلورية واضحا في شعره في المقطع الاول من القصيدة ... ولكن المقطع الثاني - كما يبدو - مقطع سياسي وانا اختلف مع الشاعر في تصويره ... ولكني لا استطيع ان افرض عليه ان يحب ما احب .

اما قصيدته « يا عنب الخليل » فتصيدة رائعة الموسيقى تتسلل الى القلب من خلال النغم والصور الفلكلورية الشعبية ... (الاعور الدجال - جنية المقابر - خليلي يا عنب) .. شعر المناصرة في مثل هاتين القصيدتين « يا عنب الخليل » و« ناطوران شعر فلسطيني بسلا جدال :

سمعتك عبر ليل الحزن اغنية خليلية
يردها الصفار وانت مرخاة الصفائر ..
انت دامية الجيين
ومرمرنا الزمان المرّ يا « حبرون »
يعزّ عليّ ان القاك مسيبه

سمعتك عبر ليل الصيف اغنية خليلية
تقول تقول : يا عنب الخليل الحر .. لا تشر
وان اثمرت كن سما على الاعداء كن علقم .

... ولكن متى تحققت النبوءة ؟ هذه القصيدة مكتوبة في عام ١٩٦٦ - كما هو مكتوب في ديوان « الدم في الحدائق ولعلها قصيدته « اغنية كنعانية » المنشورة في الآداب - مايو ١٩٦٦ . نصيف له هذه القصيدة قصيدته الرائعة « زرقاء اليمامة » التي نشرها في ديسمبر ١٩٦٦ من الآداب ايضا ثم تبعه الشاعر امل دنقل وعمق الرمز في قصيدته المشهورة والتي تحمل نفس العنوان .

ولعل الدارس لشعر المناصرة .. لا يمكن ان يخرج من شعره دون ان يلاحظ ملاحظة هامة جدا وهي ارتباط الشاعر بالتراث العربي القديم : التاريخي والادبي .. فانت تقرا القصائد التالية : تظاهرة - في الرد على الاحبة - زرقاء اليمامة - قفا نيك - القهى الرمادي - موسى بن ابي الضنان - ذهب الذين احبهم - رسالة الى فروتا « وبعض مقاطع قصيدته « من اغاني الكنعانيين لتجد ان ارتباط الشاعر بتراثه العربي ارتباط واضح وقد اصبح ظاهرة بل مميزة من مميزات شعره . ولعل اهم شخصين من تراثنا قدمهما لنا الشاعر عز الدين المناصرة

... لمع في الاونة الاخيرة جيل جديد من الشعراء الشباب الذين ياتون مباشرة في الصف التالي لجيل الرواد في حركة الشعر الجديد رغم وجود جيل وسط لم يستطع ان يصل الى مستوى الرواد وفي ذات الوقت لم يصل في مستواه الفني الى مستوى الجيل الجديد جيل : حسب الشيخ جعفر - ممدوح عدوان - عز الدين المناصرة - امل دنقل فايز خضور - على وجه الخصوص . هذا مع وجود جيل وسط يمتلك الاداة الفنية جيل : محمد عفيفي مطر - خالد علي مصطفى - فواز عيد - ابراهيم ابو سنه - علي كنعان - كمال عمار وغيرهم .. ولكن الجيل الجديد اكثر تفوقا من الجيل الوسط بالتاكيد .

عز الدين المناصرة واحد من شعرائنا الشباب الذين اثبتوا بشعرهم صلابه حركة الشعر الجديد بلغته العربية الصافية وعلاقته الحميمة بالتراث العربي الذي يفوح من كل سطر في قصائده .. هذا مع وجود التكنيك الفني الممتاز والحديث جدا .

وقد اصدر عز الدين المناصرة مع الشاعرين مهراڤان السيد وحسن توفيق مجموعة شعرية مشتركة باسم « الدم في الحدائق » صدرت في القاهرة .. ولكن مجموعته الشعرية الجديدة « يا عنب الخليل » هي في اعتقادي مجموعته الشعرية الاولى .

وأول ما يلفت النظر هو عنوان المجموعة .. العنوان فلسطيني جدا ... ورغم فلسطينية الشاعر في قصائده هذه المجموعة .. فان قصائده اكثر التصاقا بالعروبة .. بدليل ارتباطه بالتراث العربي واتجاهه القومي الانساني الواضح . وعنوان المجموعة كما يبدو في قصيدته « يا عنب الخليل » التي تحمل اسم المجموعة .. عنوان فلكلوري لانه مستمد من اغنية شعبية فلسطينية « خليلي يا عنب » ... وليس هذا تركيزا على اقلية الشاعر - كما كتب بعضهم - لان لوركا وبدر شاكر السياب يعتبران اقليميين بهذا المعنى ... كما ان عز الدين المناصرة ليس شاعرا امميا شيوعيا كما حاول بعضهم ان يفسر تكراره لبعض الصور الانسانية بانه شاعر شيوعي .

والحقيقة ان الفكر القومي الانساني يمتد على طول مجموعته .. وقد اعتمد بعض من كتبوا عن المجموعة بان تكراره لصفة « الكنعانية » دليل على اقليميته .. والحقيقة ان هذا الخطا يقع فيه كثير من النقاد ... لماذا ؟ ... لان الكنعانيين عرب ونحن نعتزف بهذا - تاريخيا - عندما نحاول ان نثبت ان حق العرب التاريخي في فلسطين حق ثابت بدليل وجود العرب الكنعانيين .

كما ان قوله :

هل أنت تريدین
ان نبقى في الصين
نحن المنفيين !!

او قوله :

والنقوش الحمر في صدر العلم
منذ ان كنت ربيعا مهملا
علمتني : كيف تقبيل القم

او غيرها من الصور المتفرقة .. لا يدل على انه شاعر ماركسي .

في اطارهما الرمزي المصري .. هما شخصيتنا : امرىء القيس -
وزرقاء اليمامة) بشكل خاص ... ان رائحة امرىء القيس القديم
تفوح في شخصية امرىء القيس المصري العربي الفلسطيني .. وقد
استفلهما الشاعر ببراعة تامة تثبت قدرته اللغوية والموسيقية في
دمج التجربة المعاصرة بالرمز القديم ... الفلسطيني يحوم في البلاد
يبحث عن يعينه في استرداد ارضه السليبية .. كما حام امرؤ
القيس في بلاد الروم باحثا عن يساعده في استرداد ملكه المنتصب
وفي اخذ نار والده .. اما النتيجة فهي نفس النتيجة التي انتهى
لها امرؤ القيس :

ايها الوادي الخصيب
ربما مرت على القبر هنا يوما حمامه
يا حمامات السهوب
ابلفي عني التحية
قبل موتي للحبيب
داره السمراء شرقي اليمامة
وانا استغظ مهزوما الى يوم القيامة

هذه الابيات تمثل رحلة الانسان الفلسطيني من ٤٨ - ١٩٦٧ ..
اما بعد ذلك فلم يكتب عنها المناصرة .. ولعله يفعل في قصائده
الجديدة .. لعل الشاعر ينتقل من الخمر الى الامر .. وان كان
قد صور مرحلة الخمر السياسية تصويرا جميلا في قصيدته
(قفا نيك) و (المقهى الرمادي) :

ثم يمضي الملك الضليل للمقهى القديم
كللت حيطانه خضر الطحالب
ونسيج العنكبوت
كل ما فيه يموت
ها هنا ادفن رأسي
في كؤوس الشاي حمراء وفي لون الخطب
ها هنا ادفن رأسي
في رمال دنسوها .. لم تكن
غير هذا الكذب .. ما ينمو باعماق الزمن
واقول : اليوم خمر وغدا ... يا غرباء
اسكنوا يا غرباء
(فوراء الشار) منا خطباء
ووراء الشار منا حكماء
* * *

وعندما يصل امرؤ القيس الى قيصر الروم يطلب مساعدته ولكن
يبدو ان القيصر قد ماطله ، يلقي امرؤ القيس الجديد قصيدته (تظاهرة)
امام القيصر الجديد بأسلوبه الساخر :

مولاي قيصر الزمان في بلاد الروم
وقاهر الهكسوس والمناذرة
تعبت يا مولاي من عد النجوم
من المقامرة
تأمرني بان أشدّ فوق جرحي .. ان اصوم
تحضني على المكابره .
مولاي قيصر الزمان في بلاد الروم
وقاهر الهكسوس والمناذرة
يا من خراج ملكه يضيع في القفار
مولاي يا من ملكه بلا حدود
وجيشه عرمرم
يجتاح بحر قلزم
ويستعيد ملكنا المفقود .

* * *

ويستغل الشاعر اسطورة ايزيس واوزيريس فيسجل ياسه تحت

وطاة الهزيمة منتظرا حوريس البعيد جدا في قصيدته (يا بعيدا)
ان الشاعر يقف في نهاية القصيدة يصرخ كما صرخ لحم اوزيريس
المتناثر في ارجاء الارض .. ولعل اهم قصائد هذه المجموعة الشعرية هي:
(قفا نيك - المذهب الرمادي - في الرد على الاحبة - زرقاء اليمامة)
بشكل خاص ... ولعل استغلاله للتراث العربي هو الذي اكسبها ثناء
لغوية وموسيقى شعرية فحلة فرغم ان الشاعر يتحدث عن خمر
ومنى امرىء القيس الا اننا نلمح شاعرا اخر في نفس الفقرة
التي توحى بالحديث عن امرىء القيس .

لو مات فارسك المجيد ومات ناطور الشجر
فادفن عظامي ... يا حبيبي
تحت كرمنا على الجبل العتيق
تتعق الايام والاعوام
وبشج في الشام المطر
تنمو وتخرم العظام
فادفن عظامي ... وانتظر
يوما من الوادي شروقي
اني لآخى الموت في المنفى فمن
يروى عروقي ؟ ؟

.... الا ترى معي رؤيا (ابو محجن الثقفي) حين قال في ابياته
انه يريد الموت تحت شجرة عنب :
ولا تدفني في الخلاء فانسي ..

اخاف اذا ما مت الا ادوقها

وهكذا لم تعد الصورة المستمدة من التراث لشاعر واحد بل تجمع
كامل التراث الشعري كله .. وهذه هي براعة الشاعر المعاصر .. وقد
يظن بعض الشعراء الناشئين ان الارتباط بالتراث ارتباط قسري ولكن
العبوية الشعرية التي يتسم بها شعر عزالدين المناصرة تجعل
الارتباط بالتراث ليس امرا سهلا كما حاول بعض الناشئين ان يفصل
فيطرح الاسم القديم بلا مبرر ولا ذكاء في تناول .. بل نجد
الفلكلور الفلسطيني في ثابا القصيدة التي تتحدث عن شخصية تاريخية
... خذ مثلا قصيدة « موسى بن ابي الفسان » ... يقول الشاعر

ايا طفلة القصر هيا افتحي
فحمة الخيل سوف تهيجك ..
هيا افتحي
تباهين بالكحل في جفك الجارح
ونحن نباهي باسيافنا

... رغم ان هذه الفقرة تعبر عن تطلعات موسى بن ابي الفسان
لان يجد الجيوش القوية التي تستعيد غرناطة .. فهي مأخوذة -
بلا شك - من الاغنية الشعبية الفلسطينية :

يا بنت ياللي ع السطوح
طلي وشوفي خيولنا
انت غواك كحلكي
وحنا غوانا سيوفنا

ولا يقتصر هذا على معرفة المناصرة بالاغاني الشعبية الفلسطينية
بل يثبت لنا ان له معرفة بالاغنية المصرية ففي قصيدته (المقهى
الرمادي) نجد :

.... وفي لون البنفسج
ايها الزهر الحزين
رغم هذا انت تبتهج
فاترك الاحزان يا أزرق دعها للسنين
آه لو تعرف حزن الآخرين
ايها الزهر الحزين

ولعل الشاعر كان ينظر الى اغنية صالح عبدالحى عن البنفسج

عندما كتب قصيدته

ليه يا بنفسج

بتنهج

ونت زهر حزين ... الخ

...ويعد .. فلا ابالغ اذا قلت .. ان كل سطر شعري في ديوان « يا غيب الخليل » يستمد ايماءاته من الفلكلور الشعبي العربي ومن التراث الادبي والتاريخي .. هذان هما الدعامة الاساسية في شعر الشاعر بل لعلهما حبه الوحيد ..

... ولعل كل قصيدة من قصائد المناصرة تثير نقاشا طويلا ومتعدد الجوانب مهما كانت تبدو بسيطة لديه ... لان قصيدة المناصرة تحمل في طياتها كثافة وثقافة وبساطة وعفوية فاذا اردت ان تقرأ الشعر للاستمتاع لم تجد اية صعوبة في قراءته ، فشعره سهل ينساب الى النفس انسيابا رقيقا فيه غضب القوة وحزن الثائر المهزوم واذا اردت ان تدرس شعره والمؤثرات الثقافية فستجد وراء كل قصيدة عشرات القصص والحكايات الشعبية وعشرات القصائد من التراث العربي تتسلل الى شعره وتحد معه اتحادا تاما ... ويلفت انتباهنا : اللغة العربية الاصيلة الشعرية .. والفهم العميق الواعي لعنى الواقعية في الشعر كما نجد في شعره صورة الانسان الحقيقي بكل ابعاده : الاقليمي والقموي والانساني ..

سعيد السالم

عمان



اشواك الوردة الزرقاء

شعر عبد الجبار عباس

اعرف ان صاحب هذه المجموعة الشعرية التي تحمل عنوان « اشواك الوردة الزرقاء » ناقد بارز سلك في عداد اهل القلم من رعيلى الادباء الشباب منذ سبعة اعوام ، حيث عني بالرصد التقييمي والتناول الموضوعي لدواوين الشعر الحديث والجاميع القصصية والاعمال الروائية مسلطا عليها نظراته النافذة وملاحظاته الثاقبة آيبا منها بالاحكام المنصفة والاستنتاجات الدقيقة بلا ادنى لون من التعالم او العجب ، وثمة مفارقة طريفة يلحظها المستجلي في اهتمامات هذا الناقد الاديب وتغلب على مياسم وخصائص اسلوبه الكتابي ، انه رغم - تخرجه من كلية الآداب - جامعة بغداد - التي تمنى بتدريس طلابها مادة الادب العربي ، بحسب التقسيمات التاريخية التي اصطلح عليها الباحثون والدارسون من الرادة في مطالع العشرين والتالين عليهم امثال زيدان والاسكندري والرافعي وفروخ والسباعي بيومي وشوقي صيف ، وذلك يعنى انه مر حتما بمعطيات اعلام النثر في الادب العربي القديم ووقف عند روائع الشعر منه كذلك ، وفرغ من دراستها واستيعابها واستقصاء ما يميز الشواهد الحية منها من الاسر والجزالة والرشاقة والاحكام ، وجماع ما تعارف عليه النقاد القدامى في مجال الاشادة بالاعمال الادبية من سمات الاداء الطوبوع وعناصر التعبير المشحوذ ومقومات البلاغة الحقة ، رغم ذلك كله فهو لا يعول على مادة التحصيل الاكاديمي او الجامعي في اعتمادها مصدرا مفنيا في دراساته الادبية والنقدية ، انما يلحظ القارئ كثرة استشهاده ، ان اوجه ذلك ، في الاستدلال على صحة مسلمة نقدية او نقض رأي يقف ضده بما يسطره الدارسون المحدثون من العرب والافرنج ، فالحدائث او العصرية ان شئت هي اغلب ما يسم نتاجات عبد الجبار عباس ، وهذا لا يعنى بطبيعة الحال محض استهوان للتراث واستخفاف به وناب عليه ، انما لكل وجهته ، وكسل

خلق لما هو ميسر له ، كما يقال ، ونزوع الاديب للمنرس بضرب من الاعمال او الاهتمامات الادبية ، تعافها فطرته وتاباها سليقته ، قصد الانتظام في صف من استتوا على الامد في ميدانها ومجالها ، هو عين التقليد البليد وصنو المحاكاة الفيبة وغاية التفريط بالموهبة الادبية الذي لا يعقب شهرة دائمة او يستلفت صوبه الابصار والاسماع .

وان يطلع علينا عبد الجبار عباس بهذه المجموعة الشعرية الاولى وهو لم يعرف قراءه بكتابته للشعر وتمرسه بتجربته ومعاناتها من قبل ، - وقيامه بنشر بعض المقطعات والقصائد في احيان قليلة ، قد لا يكون كافيا تمام الكفاية للشهادة الاجماعية له بمكنته من التعبير الشعري والاقتدار عليه - ليس من قبيل المفامرة الوخيمة العقبى السيئة النتائج ، ففي كيان كل ادب منفتح الرؤى ، مرتبط بقيم العصر ، تواق لمحو ما يشين وجه الحياة من صور القبح والدمامة ، نفحة من هذه الروح الشعرية الدالة على استجماع اصحابها في شخوصهم وذواتهم لقدر من رهافة الحس ورقة الشعور حتى وان عبر عنهما بطريفة النثر .

تتمثل في هذه المجموعة جماع تجارب الشباب العربي من جيل الستينات الذي شهد تحولات الثورات التحريرية التي استجذت فسى بعض انحاء الوطن العربي منذ بداية الخمسينات وما يزال شررها يلتهب ويتصاعد ليعم مراع وبديارات اخرى منه ، ملويا بالبقية الباقية من الانصاب والهياكل القديمة ، لكن هذا الوطن الكبير ليس منعزلا عن جهات الدنيا او لا يتأثر بما يعصف بها من الحوادث والخطوب ، انما هو متزوج بها ومتفاعل واياها ، بشكل وآخر ، ورغم ما زخرت به هذه الثورات العارمة المجيدة من العوائد المادية على قطاع كبير من شباب العرب ، فاسلمت كثيرا منهم للوظائف او للحصول على شهادة الجامعة ، بعد ان كان ذلك غير ميسور الا لنفر محدود من ابناء البيوتات المثرية ، فان ما صحبها من الحوادث وتعرضت له من الهزات وحاق بها غير مرة من الاخطار المخيفة ، واخلفها بالذكر عدوان الخامس من حزيران الذي هدد كيان امتنا ووجودها معا بالحق والزوال ، وكاد يبلغ غايته لولا الصمود الباسل والمقاومة العاتية واستعادة المفلوب النهزم لثقتنه بممكناته وايمانه بختمية الانتصار .

اقول ان هذه الحوادث الجسام وفتت حائلا ، غير مرة ، بين الشباب العربي وبين استمتاعه بجني ثمار النصر ، فاستحال فرحه حزنا ، وامله ياسا ، وتبدى انه لم ينعم بعد في ظل هذه الثورات المفطرة بما يطفئ شوقه الى العدل وتوقه الى الحرية ونزوعه السى الخلاص التام من كل ما يسلمه الى الحيرة والضياح . وكذا نجتلسي ميسما من العزن الكارب يقلب على النتاجات الادبية ، يبقي منه اصحابها الايماء الى تلكم الرغاب الجهضة والاماني المخيبة ، التي حال الزمن الطالم دون تحققها ، فالحياة ليست خيزا تمصفه الافواه ولا نقدا تملأ به الجيوب ويستعان به وقت الحاجة لاشباع بعض مطالب الجسد والروح . انما هي انعتاق محض من الترهات والاباطيل ، انسلاخ تام من الاضاليل والاهوام ، وتحرر كلي من جميع ما يلزم الانسان - بمجاراة اهواء غيره واقتنائها والنزول عليها والانطلاق منها موقفا وخطة عمل .

فلا غرو ان نزع الناقد الشاعر عبد الجبار عباس الى التعبير عن هموم ابناء جيله وتصوير ما يختلج في وجدانهم من الاشواق والتطلعات ، وتشبع في ادائه نفس القوالب والاشكال الفنية الغالبة على معطيات الشعر الجديد التي اقامها رواده الطالعون من استعانة بالرمز والصورة ، ولجوء الى القموض والقرابية ، وتعويل على الايحاء والاسطورة ، بديل القالب القديم بتراكيبه القاموسية وانفامه الضاخبة وتصويراته المباشرة ، وهذا لا يعنى ان الشعراء المحدثين متمثلون فسى طرائقهم التعبيرية ، متشابهون في صياغاتهم الفنية ، فبينهم الاصيل والمقلد ، وبينهم من يطبع شعره بميسمه على غير مألوف غيره من التعمل والتقليد .

بعد مفتوح وجيز عن (ولاده القرن العشرين) تستهل به المجموعة
يجيء بيان صغير معرفا برسالة الشعر ودوره الخطير في اشاعة القيم
الخيرة واستحثاث الانسان على محبة الحياة والتعلق بها والنضال في
سبيلها :

الشعر خطى فوق الرمل - وصوى للجوعان الهائم - تجلوها الريح
وتخفيها - فخطى الذكرة القرورة - تنسكع في الرأس الواجم .

فالشعر لم يعد جرسا موقعا او لفظا منمقا ، انما له دور اخطر
واهم من الادلال برصيده من الابداع في الصياغة والبراعة في النسيج ،
دوره ان يصير المستحيل ممكنا ، ان ينفث في الاقدام قوة تعين على
اجتياز رمال القفار والصحاري فلا تفور في اعماقها وتفوص منها الى
القرار ، وكان الشاعر القديم ، يقسول ان الشعر يفجر الثورات
والانفصاضات ويعصف بالطفاة والمستبددين ، ومن هذين الشاهدين
يستبين الفرق جليا بين منحيين من مناحي التعبير والتجسيد .

وبغية الشاعر من تناول موضوع الاسطورة السومرية القديمة
- ملحمة كلكامش - التي عني بها من قبل وعبر اكثر من قصيدة الشاعر
والباحث والفكر العراقي عبد الحق فاضل ، ان يخلص منها ، من
طريق الابعاء والتشخيص والعاودة على موضوع تحالف جليجامش
وانكيديو لمغالبة الوحش خمبابا ، الى الابعاء بجملة معان ومضامين قد
تكون قديمة اخلقها التداول ، لولا ان حظوتها بالشمول والبقاء ، على
تعاقب الدهور والمصور ، يحوج الى صياغتها مجددا .

من هذه المضامين والمعاني الباقية التي يدع مهمة ترديدها وترجيحها
الى (الكورس) في غاية من التحديد والتركيز والخصوصية ، التسليم
بفدر النساء وما ينطبعن به من النزوع للكيد والشغب ، وهذه مسألة
غير مقطوع بصحتها لدى البعض ويلزم في ملتهم ومنطقهم تصحيحها ،
وكذلك اعتماد اللفظة والخاشنة في التعامل والآخرين ليسلم البرء من
قوارصهم ولذعاتهم ، فالكورس يشهد ، بما يشبه الامثال من ناحية
الاداء المركز :

هي افعى فاحذر ملمسها - باب لا يصمد للريح - نار لا تلبث ان
تخمد . وينشد كذلك في مجال الانحاء على انكيديو باللوم ، ان اطمأن
الى خلو مفاوز الطريق وشعابه من المخاوف والاهوال :

كنا حذرناك ولكن - يا كاشف اسرار الابد - لم تلبس من جلد
الاسد - ثوبا وتهيم على وجهك .

وكان الشاعر الجواهري يصرخ قبل اربعين عاما فسي مجال
المعارضة السياسية :

أرى القوم من يقذع يقرب اليهم ومن يجتنب يكثُر عليه التحامل
وما يشبه لغة الامثال نجثليه في قصيدته : قطرات مختلفة فوق
بحر :

وكل عابر - مزاره منفاه - ... لا ينقذ الفريق - غرقى ، ولكن
ربما اسمعه - ان تلمس الخطى معا قرارة الماء .

ويذكرني المثل الاول بقولة انطون فطاس كرم ، غداة نعي بشر
فارس رائد الرمزية في ادبنا الحديث : « رب عزلة كانت مزارا
لا غربة » . وغايتنا من ذلك التذليل على ان لطالعات الشاعر الوافرة
من الكتب الادبية والنقدية والفكرية التي يعول عليها في صقل ملكته
وتثقيف ذهنه ومواكبة الحركات الادبية الحديثة في مساراتها ووجهاتها،
اثر ما في الجنوح لصياغة بعض القبولات والمسلمات المستنقاة من الحياة
الواقعية والتي تحظى منه بالقبول والموافقة وتملي عليه تجاربه الذاتية
تصديقها واقرارها والقطع بصوابها .

والذي يقرأ بعض كتب الفلسفة ، ويعنى بقراءة بعض الروائع
والشوامخ الغربية مترجمة او بلغاتها الاصلية ، وعن له ان يحلق

بخطراته وتهويماته الفكرية على طريقة الشعراء اصحاب التحقيقات
الفنية ، لا بد ان ينشد في آن :

وفكرت ماذا لو اني هنا الان - في لحظة مثل هذي اموت - اذن
لاسترحت - اذن لارحت .

ومن قبل انشد شاعر من اليونان (والنص على عهدة مترجمه
الدكتور نعيم عطية) :

« آه لو كان الله قد واد عقلي وروحي حتى لا اشعر بضياعي » .
الم نقل انا لسنا منزليين في همومنا ومتاعبنا عن بني الانسان
في رحاب الدنيا ؟ .

وعلى غرار ما ينزع اصحاب البيوتوبيات او الحالون بالمدن الفاضلة
التي تخطط لها افكارهم ومخيلاتهم ، ينزع الشاعر الى انتقاء
المفارقات واستبعاد النقااض من حياة الناس ، واجتلاب عالم يشرق
بالصفاء والنقاء :

سأجهد ان يتوازن جناح الحمامة .

فلا يمتريها اذا حلقت في صفاء الاعالي اضطراب

سأجهد ان يتاكل ظفر العقاب

ويرحل عن زرقة الماء ظل الطحالب

فتصفو بشفري التريب القصيدة

وينقى من الدغل المر حقلتي الصغير .

الى آخر قائمة الحلم الجائل في معظم الموجودات والدقائق
الملموسة في الكون والناس والطبيعة ومفاد ذلك ان الشاعر الجديد
يتمثل روح عصره ويستقي من موحياتها ما يثري وجدانه ويذكي شاعريته
ويغني مجتناه من رصيد الفكر الى جانب ما فطر عليه من تلهب
ال عاطفة وتدفق الشعور فلا يجعل من شعره محض الفاظ موشاة ، او
عبارات منمقة تحكي خواء في المعنى وفجاجة في المضمون ، او تتناول
اليسير البسيط من المعاني غير الدالة على اكتشاف للاسرار وغوص في
الحقائق وتساؤل حول الوجود . بل يدفع به رصيده من معطيات الفكر
الى تعميق تجربته وتاصيل ادائه ، ويستحس على ارتياد الافاق الانسانية
الرحبة والانتظام في ريعيل التائقين لعالم امثل تتحقق في ظلاله انسانية
الانسان .

واحسب ان الناقد الشاعر عبدالجبار عباس ، يكاد يكون في
عموم قصائده ، نسيج وحده ، في تمرسه بصياغة معانيه الشعرية
الزاهرة المحتفلة بتأملات الفكر وخطرات الذهن وتهويمات الروح
الفني، وان يصول على معجم السياب اللفظي في مقطع من قصيدة
« حكاية قديمة » :

فرددت الحناجر بورك الرب

تفطر قلب هذي الارض يا مطر

او يقتفي ادونيس في قصيدة بطاقة بيضاء :

راحل والعراق -

في دموع أبي ، فالفرات

فدمي ، نحو من بعد ام يولدوا

أتمري باسمائهم ، فرؤوس النخيل

تتسامى معارج ، والجهات البراق .

اخرى ان يعد من قبيل التائر بالمحفوظ القديم من ان نخاله تقليدا
مفتضحاً او محاكاة شائنة .

العراق - الهندية

مهدي شاكر العبيدي

التعليم في إسرائيل

تأليف : الدكتور منير بشور و خالد مصطفى الشيخ

مطالبة بالاصلاح لا تبدأ بالنظام التربوي انما تبحث عن اصلاح النتائج وتترك اصلاح العلل والاسباب .

وعندما بدأت طلائع الفزوة الصهيوني والهجرة اليهودية الى فلسطين في اواخر القرن الماضي لم تستخدم البندقية ولا المدفع في هذا الفزوة ، بل باشرت نشاطها بافتتاح المدارس التي بشت من خلالها في الاجيال الصهيونية مطامحها واهدافها وسلحتهم باسلحة العلم والمعرفة لتعدهم وتمكنهم من الانتصار في المستقبل في المعركة العسكرية . وعندما تحقق لهم الانتصار العلمي والثقافي واستكملوا اعداد الاجيال اصبح الانتصار العسكري امرا محتوما .

ولقد اوضح المؤلفان الاهداف التربوية للمجتمع الاسرائيلي وكشفا عن حقيقة مؤداها ان الارتباط بين اهداف المجتمع الاسرائيلي وحاجاته وبين اهداف التعليم الاسرائيلي اوثق صلة وواضح للرؤيا مما هي الحال في بلدان اخرى ، وذلك يرجع الى طبيعة اسرائيل كدولة اصطناعية تقوم على اساس استغلال اليهود من مجتمعاتهم الاصلية وصهرهم في بوتقة جديدة . وترز التربية كاحدى الوسائل الهامة ولعلها الوسيلة الاهم في عملية الصهر هذه . ومن هنا يمكن ان يستخلص المدقق ثلاثة اهداف رئيسية للتعليم في اسرائيل :

- 1 - تكوين مجتمع عضوي موحد من اشقات اليهود التي تجمعت في ارض فلسطين .
- 2 - بناء دولة عصرية تملك اسباب القوة المادية فيها والروحانية .
- 3 - المحافظة على التراث اليهودي ونشره وتعميمه بين الناشئة اليهود في اسرائيل وتحويل اسرائيل لتصبح مركز الاتصال بين يهود العالم اينما وجدوا والمثلية الرئيسية لمنجزات الشعب اليهودي .

اما المصادر التي تستمد منها اسرائيل هذه الاهداف فيمكن حصرها بثلاثة مصادر :

- 1 - الدين اليهودي كتجسيد لمعتقدات اليهود وحامل لتراثهم عبر التاريخ .
- 2 - الحضارة الغربية بمقدار ما هي حضارة عقلانية علمية .
- 3 - الحركة الصهيونية كخلاصة تاريخية للتفاعل بين المصدر الاول (الدين اليهودي) والمصدر الثاني (الحضارة الغربية) والناجئة عنها قيم معينة تتلخص بالريادة ، والعمل المنتج والعدالة الاجتماعية .

ولقد جاء في القانون الرسمي للتعليم الصادر سنة ١٩٥٣ تحديد اهداف التعليم في اسرائيل بالشكل التالي : « ارساء الاسس التربوية على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات العلم وعلى محبة الوطن والولاء للدولة وللشعب اليهودي وعلى ممارسة الاعمال الزراعية والحرفية وعلى التهيئة لوجود راند ، والعمل على تشييد مجتمع تسوده مبادئ الحرية والمساواة والتسامح والتعاون ومحبة الجنس البشري » .

ويمكن ان نلاحظ بعض الاتجاهات البارزة في التعليم في اسرائيل وهي :

- 1 - التأكيد على الريادة
- 2 - التعلق بالارض
- 3 - تنمية الروح العسكرية
- 4 - التأكيد على اللغة العبرية

واذا بحثنا في جذور الحركة الصهيونية نجد انها كانت واعية منذ نشأتها للدور الذي يمكن ان تلعبه التربية في تحقيق اهداف الحركة في الفزوة والاحتلال والاستعمار والقتل والتدمير لسكان فلسطين الاصليين . فقد بدأت الحركة الصهيونية نشاطها بمدارس الارشاليات اليهودية والمدارس العبرية او الصهيونية وكانت هذه المدارس منتبهة منذ بدايتها الى رسالتها العدوانية من ناحية الحاحها

يحتل هذا الكتاب مركزا هاما في سلسلة الدراسات التي يصدرها مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية من بيروت . ويستمد هذا الكتاب اهميته من اهمية الموضوع الذي يعالجه . فالتعليم في اي مجتمع يعتبر من اهم واخطر العوامل المؤثرة والفاعلة في حياته والقادر على رسم مصيره وتحديد ابعاد مستقبله .

ومعالجة ظاهرة التعليم في المجتمع الاسرائيلي تتيح لنا التعرف على الاسلوب الذي ينتهجه عدونا في تربية واعداد ابنائهم وتنشئة مواطنيه ، وتكشف لنا عن الاهداف التي ينطلق اليها هذا العدو . وكيف يستخدم التعليم كوسيلة لتثبيت عدوانه والفزوة والاحتلال فما احرانا نحن العرب باستخدام التعليم كوسيلة لدحر العدوان ومقاومة الفزوة والاحتلال .

والكتاب يشتمل على (٢٤٧) صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على عشرة فصول . وقد عالج المؤلفان في الفصل الاول قيام دولة اسرائيل وفي الفصل الثاني المجتمع الاسرائيلي من حيث تكوينه والقوى الاجتماعية داخله والاهداف التربوية للمجتمع الاسرائيلي . وفي الفصل الثالث عالجنا نشأة نظام التعليم في اسرائيل وتطوره ، وفي الفصل الرابع عالجنا موضوع التعليم الازمائي وفي الفصل الخامس موضوع التعليم الثانوي وفي الفصل السادس التعليم العالي ، وفي الفصل السابع تعليم الكبار وفي الفصل الثامن التعليم في الكيبوتس ، وفي الفصل التاسع تعليم العرب في اسرائيل ، وفي الفصل العاشر خلاصة وانطباعات عامة .

وهكذا فان هذا الكتاب قد عالج ظاهرة التعليم في اسرائيل من جميع جوانبها وابعادها سواء من ناحية التاريخ لهذه الظاهرة او من ناحية الفلسفة والاهداف التربوية او من ناحية المناهج الدراسية او من ناحية مراحل التعليم المختلفة وانواع هذا التعليم او من ناحية الادارة التربوية والتمويل . . . الخ ما هنالك من قضايا ذات علاقة مباشرة او غير مباشرة بظاهرة التعليم .

وفي المقدمة التي افتتح بها المؤلفان كتابهما يقولان : « ان صراع العرب مع اسرائيل لا يقتصر على الجانب العسكري او السياسي او الاقتصادي بل هو قبل كل شيء صراع حضاري وعلمي يتمثل في مواجهة بين حضارة غربية قوية مجلوبة قامت في فلسطين المحتلة وحضارة عربية ناشئة لم تتحدد معالمها بعد ، واننا على يقين ان نتائج هذا الصراع تتوقف في السباق الاخير على ما يحدث في مدارس اسرائيل وفي مدارس العرب يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة » .

وهكذا فان جوهر الصراع بيننا كعرب وبين اسرائيل كدولة مقتنبة يمكن ان نحدده على انه صراع بين المعلم العربي والمعلم الاسرائيلي . هذا اذا فهمنا كلمة (معلم) بمعناها العام الشامل . ومن خلال هذا التحديد يمكن ان نقول بان الذي خسر المعركة في (ه) حزبان سنة ١٩٦٧ هو المعلم العربي . وان اية تفسيرات لاسباب نكسة حزيران تتجاهل هذه الحقيقة انما هي تفسيرات سطحية . وعلى هذا الاساس يمكن ان نقول بان الدعوة الى الاصلاح والتغيير في حياتنا العربية اذا لم تتخذ هدفا لها اصلاح وتغيير الانظمة التربوية العربية فان هذه الدعوة ستبقى دعوة صوفية وسحرية . وبكلمات اخرى يمكن القول ان نقطة البدء في اي اصلاح او تغيير اجتماعي يجب ان تتم داخل جدران المدرسة العربية . والدعوات التي انطلقت في البلاد العربية من جميع المسؤولين والفكرين العرب والتي دعت الى الاصلاح السياسي او العسكري او الاقتصادي انما تتجاهل جوهر كل اصلاح وهذا الجوهر هو النظام التربوي في البلاد العربية ، وان اية

اعناق الجياد النافرة

شعر فواز عيّد

منشورات دار الآداب - بيروت

في هذا العرض الموجز لديوان « اعناق الجياد النافرة » انما نحاول استجلاء الخيوط الاساسية التي نسجت قصائد هذا الديوان والتي يمكن ان نقول عنها انها السمات الرئيسية لازمة الانسان العربي الواعي لكل هذا الضياع الفكري الذي يعيشه جيل الشباب في اكثر من بلد بشكل عام وفي وطننا العربي بشكل خاص . هذا الجيل المسلوب الحرية والذي يلهث في البحث عن دنيا جديدة عن الاتساق والروعة وبالتالي يهدف لتحقيق الجهد في الانسان والطبيعة على حد سواء . فالارض التي انجبت هذه القوائد هي الارض العربية التي شاءت الاقدار ان تكون مركزا لامتى صراع يخوضه طرفان من البشر المستعمر والمستعمر ، المضطهد والمضطهد ، كل هذا ترك جيلنا المثقف الواعي نهبة للقلق والمخاوف والضياع قبل ان يستطيع ان يجد طريقه . وان جيلنا المثقف الذي اتخم بقراءة النظريات عن وحدة الشعوب والمصير الانساني والاخوة العالية انما لزمه وقت طويل نسبيا حتى استطاع ان يسلم عن نفسه تلك النائية وينظر للاخريين نفس النظرة التي ينظرونها اليه ويفهم تلك الامور التي تخص المصلحة الذاتية الاقتصادية لكل فئة من البشر فتحوّلهم من اصدقاء الى اعداء او بالعكس ، اذن وائناء هذا الانهيار الشامل لقيم العالم القديم والمثالية العربية وقف انسانا حائرا لا يدري كيف يجد الخلاص في هذا الزحام . والشاعر فواز عيّد هو احد ابناء هذا الجيل الذي عايش فترتين في حياته ان صح ان نقسم حياة الامة العربية الى فصلين ١ - من نكبة فلسطين وحتى ١٩٦٧ الخامس من حزيران وما نال فيه الشعب الفلسطيني من ضياع بشكل خاص والشعب العربي ككل بشكل عام ٢ - انطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة وازدياد جدية الاستعداد العربي العسكري .

اذن فاننا واجدون صدى المرحتين في قصائد الشاعر فواز عيّد في ديوانه الجديد هذا .

وهو يجسد كما قلنا مرحلة الضياع الذي هو في كثير من مراحل انعكاس للضياع العام وظروف القهر والاضطهاد والتردد التي تعيشها الشعوب النامية بشكل عام . ففي قصيدة « طيور الخليج » وهي قصيدة خصبة مبطنة بالدلالات والرموز نجد الشاعر يصور لنا الخليج والبحر في مجال واسع مفتوح ينظر من يفامر فيه . والمغامرة هنا قفزة في المجهول تحتل النجاح والفشل وهي بحاجة للانسان الحاد الحاسم في مواقفه ، ولكن الشاعر يطرح لنا صورته كما قلنا وهي صورة الشباب في تلك الفترة ، الشباب الحائر المتردد الذي يخشى المواجهات الجديدة ولا يستطيع ان يطور موقفه بسرعة وحزم من حيز النظريات الى حيز الممارسة العملية فيبقى في مواقفه وعلى حد تعبير الشاعر سجين التخوم

يجيء المخاض

ويبقى الخليج يمد يده

وابقى ضميرا وراء الزجاج

اخبي وجهي خلف الجدار

سجين الاحاديث والاشربة

سجين التخوم

وفي قصيدة « الليل واعمدة الجسور » وهي قطعة فنية رائعة حقا بينائها الشعري وصورها الجديدة المبتكرة والتي تنضح بالحزن والاسى والمرارة انما نلمح الضياع الرهيب .

على التعلق بالارض (اعتماد اعلى اساطير دينية) وتنمية الروح العسكرية والتأكيد على اللغة العبرية كاداة لصهر المجموعات الصهيونية المتنافرة والتي قدمت الى فلسطين من بلاد متعددة . وقد اثمرت هذه السياسة التربوية وحقت اهدافها وانتجت جيلا صهيونيا يؤمن بالفز والاستعمار والاحتلال والمنصرية والتعصب وكان ضحية هذه الاهداف العدوانية الشعب العربي في فلسطين .

ويمثل التعليم في (الكيبوتس) مظهرا من مظاهر التعليم في اسرائيل الذي يقوم على زرع روح الفز والاحتلال والسيطرة والعدوان في نفوس ابناء الجماعة (الكيبوتس) وتربيتهم تربية تعاونية وتشجيعهم على العمل في الارض والمساواة التامة بين الجنسين وتنمية الروح العسكرية العدوانية . ويشكل تعليم العرب في اسرائيل وصمة عار في جبين الصهيونية ويبرز دولة اسرائيل كدولة عنصرية استعمارية متعصبة . فتعليم العرب في اسرائيل وجهه عربي والدم والروح فيه يهوديان . فهدف التعليم يتعارض روحا وجوهرا مع تراث الاقلية العربية ، وان نسبة التعليم بين السكان العرب في اسرائيل منخفضة جدا اذا ما قورنت بنسبة التعليم عند السكان اليهود ، وان اوضاع مدارس العرب في اسرائيل مؤسفة من حيث عدم توفر المعلمين العرب المؤهلين ، وعدم توفر الابنية المدرسية الملائمة ، وعدم توفر الدعم المالي والتجهيزات والمختبرات والمكتبات والملاعب ، ومن حيث تخلف التعليم المهني عند العرب وظيفان التعليم النظري في المدارس العربية .

والانطباع الذي يبقى في الذهن بعد دراسة اوضاع التعليم في اسرائيل هو الملامة بين اهداف التعليم في اسرائيل من جهة وبين اهداف الحركة الصهيونية وحاجات المجتمع الاسرائيلي واوضاعه من جهة اخرى . ولقد استطاع هذا التعليم ان يحقق اهدافه في الفز والقتل والدمار والافتصاب واستطاع ان يقيم دولته في اسرائيل على اشلاء الشعب العربي في فلسطين . كل هذا بفضل خطة تربوية محددة الاهداف والاساليب والوسائل ، ومستندة على مطامح الشعب اليهودي في اقامة وطن قومي على ارض فلسطين العربية .

ومن خلال التعرف على اوضاع التعليم في اسرائيل ، ومن خلال التعرف على الجهود الجارية التي يبذلها عدونا في هذا المجال يتكشف لنا عمق المسؤولية التي يجب ان تلعبها المؤسسات التربوية في البلاد العربية ، وتحدد ابعاد الاهتمام الذي يجب ان يوليها مجتمعنا العربي لانظمتها التربوية .

فنحن احوج ما نكون الى اعادة النظر في انظمتنا التربوية لتتحقق من مدى ملائمة اهداف التربية العربية لواقع المجتمع العربي وتطلعاته واهدافه . وهذه الملامة لا تتحقق الا من خلال استقراء عميق لواقع المجتمع العربي وتاريخه وقيمه من جهة وواقع شخصية الانسان العربي حتى تأتي هذه التربية متجاوبة مع اشواق الانسان العربي ومنسجمة مع الدور الذي سيفضطلع به في معركة التحدي التي يواجهها . ان معركتنا مع اسرائيل ليست معركة وقتية وليست معركة واحدة ، انها معركة مصير ، ومعركة وجود واذا اردنا ان نضع المصير ونحقق الوجود فلا بد من ارساء قواعد هذا المصير والوجود في واقع مدارسنا حيث تصنع الرجال وتعد الاجيال ، وعند ذلك يمكن ان نقول بثقة واطمئنان المقولة المشهورة : « واخيرا انتصر المعلم العربي » .

احمد الخطيب

كنهر هائم أبدا

كشلال يصب وراء جان عامر فتضميني

قارورة الحان

او في قوله

انا والليل عصفران لا ترويهما الشيطان

اذا جاعا .. تمد حقولها وبذارها الاحزان

فالشيطان تمتاز بالصحالة وهي لا تحقق الخلاص من هذا الضياع
فالمطلب شيء اكثر عمقا واكثر فاعلية وجدوى ، وهو غير الاحاديث
والاشربة وهو غير الواقع الراكد والاصدقاء الخاملين ان التفاعل
والخصب والعمق مطلب اساسي لحل الضياع حتى لا يستيقظ الشعائر
على مثل هذه الرؤية الكالحة الكابية :

وغدا افيق وبعد غد

للضحكة البلاء .. والتبغ الرخيص على المقاصف والسهر

والاصدقاء الخاملين

والريح والاسواق والكتب الجميلة والرخام

والشمس والدم والميسون

تحيط به وتحاصره وترغمه على التحرك من خلالها . حتى لا
يدور الانسان في فلك حزين يتعذر عنده التمييز بين الالم والمتالم ،
بين الواقع والفكر المدرك ويتدمجان في وحدة مرة

اضاعوني .. انا المجلود والجلاد

انا السكين والجرح

انا الباكي على الاطلاق والمبكي

وهذا العالم الذي يصوره لنا فواز عبيد يتخلله الحزن ويغلب
على لونه السواد والاسى ليس ناجما عن اسباب ميتافيزيقية محضه،
انه ليس نتاجا وعطاء لفكر اضناه البحث الفلسفي في مشكلات
الفلسفة الكبرى بل هو حزن ارضي تماما تمتد جنوره بعيدا في
تربتها لتمتنع من هموم البشر الشيء الكثير . ان هذا الشقاء هو
شقاء جيل عربي باكملة وهو شقاء يملك اسبابا ومظاهر واضحه
محددة في قصائد الديوان . ففي قصيدة « دان دان » نواجه صورة
الانسان العربي الذي اجلاه عن دياره الفاصيون والفزاة وزرعوهما
بالرصاص والدم فهام على وجهه غريبا يسأل متى يعود الى وطنه
ووديانه ليزرع ارضه بيده يرى احبته متى ؟ متى ؟ فلا يجاب الا
بصوت واحد هو « دان دان » وهي كلمة تنضح بالجهل التام ولعلها
تلخيص لكلمة لا ندرى يجب بها الجمهور على كل الاسئلة الدامية
السابقة .

فمتى ارجع كالنهر اليها ؟

دان دان

واراهما مثلما كانت صبية

دان دان

نزرع الارض سويا ؟

دان دان

وكلما مضينا في قصائد الديوان تتوضح لنا ابعاد الكارثة التي
افست الى كل هذا التمزق :

غريب ذلك ... ليس لديه من خبز ومن ماء

ومن فخر

وليس لديه ان مر الشتاء عليه - موقد نار -

دعيه فليس للاغراب من حب .. ومن فخر

وودعها ... وحل بركبته ووجهه التعب

تلقفه صباح ممطر وقطار

اذن فعلنا نستطيع ان نلمح بسهولة وجه الانسان الفلسطيني
الغريب الضائع الذي فقد كل مقومات الحياة الهادئة والاستقرار،
فقد كل شيء ، وبفقدته لها وضياع قاعدته الصلبة التراب انفرس
القلق والهيم عميقا في صدره

كان لي حقل ودار

يارباب

مرّ بي العمر قشيبا واستدار

والليالي عبرت مثلما مر قطار

جرفت داري السيول ... جرفني

مات ابنائي خليل ونزار

لان التراب « الوطن » ليس فكرة مجردة او رمزا من الرموز، وفقدته
يعني ببساطة فقد كل الاشياء الحبيبة، فقد الماضي والحاضر والجهل
بالآتي ، انه الاجتثاث من الجنود بكل ما تحمله هذه العملية من الم
على كل المستويات .

ولم يفلسف حلمه ، لم يفهم الاشياء

الا كما يحسها .. يشمها

يفهم قال لي - ان الوطن

ان احتسي فهوة امي

ان اعود آمننا مع المساء « ١ »

لذا بقي البحث عن الخلاص مطلبا اساسيا وضرورة ملحة لا يستطيع
ان يصرف شيء عنها ابناء هذا الجيل . ان كان هذا الشيء احيانا
صعوبة الطريق او الحواجز والموانع التي كان هدفها تكبيل حركته.
لذا نجد الان ونحن بصدد الحديث عن قصيدة اعناق الجياد النافرة
هذه الجياد التي يرمز الشاعر فواز عبيد بها الى الطلائع الواعية
من ابناء هذا الجيل ، هذه الطلائع العاملة في كل الظروف وتحت
كل الضغوط ، لم نجد لزاما علينا ان ننوه بما جاء في الدراسة
التي قدم بها الشاعر يوسف الخطيب « ديوان الوطن المحتل » وهو
ما مفاده انه بعد انحسار عام ١٩٤٨ ونكبتته اتخذ شكل العالم بالنسبة
للفلسطينيين شكلين ١ - منفى : وهو كل الارض التي لا يظللها علم
اسرائيل ٢ - ومعتقل : وهو كل الارض الواقعة تحت ظل العلم المذكور.
وبالنسبة للمنفى فان هذا العالم كان مخفورا بقوة السلاح والمخابرات
وهو شبه حجر صخري وضع فيه ابناء هذا الجيل من الفلسطينيين وكان
الويل والثبور بانتظار كل من يحاول التمرد على هذا الواقع من هؤلاء
الذين يدعوهم الشاعر بالجياد النافرة :

سهل المهر على التلعة نادى

فاعتلى وجه القمر

وازدهت في السفح اعراس النبات

ثم دوت طلقات

عند ذلك :

صاح في الظلمة : آه

فاجاب القصب الساهر في الضفة

« آه ه »

عكر الذئب المياه

اضف الى ذلك صعوبة الطريق وفتح اعين الجماهير على الواقع
واقظها من خيالاتها الرومانسية في رسم طريق الخلاص . واقناعها
بضرورة توليها هي زمام المبادرة وتقرير المصير ، في مرحلة كان قسم
كبير من سواد هذا الجزء من الشعب العربي لا زال يثق بالاساليب
القديمة ، ويظن ان في مقهورها حل تناقضاته الاساسية .

١ - قصيدة جندي يحلم بالزنايق البيضاء « محمود درويش » .

هذه المهمة هي مهمة الجيل الواعي . وكثيرا ما كتبت هذه الجياد في الطريق ، كثيرا ما اترع كاسها بمرارة الفشل وكان الياس في النهاية بالانتظار

وعدت في ربح الصباح
الى القرى فرحا لاوقظها
ألا هي لم لا « هب بي »
فما ردت
خواء والضحي خلفي

ومثل هذا الشعور بالخيبة عقب فشل المحاولة في ايقاظ القرى وجوع البسطاء الذين يشكلون العمود الفقري لاي ثورة نجده لدى المشاعر محمود درويش حيث يقول هو الاخر

لا يحزن الصياد أن يعود
مرة بلا اسماك
لكنه يحزنه ان تحمل الشباك
بعد نهار الكد
طحلب البحار

لكن على حد تعبير المعنى الوجودي القائل من نهاية صفة الياس تبدأ الحياة في الانبعاث من جديد ، او على حد تعبير صيني يقول انه كلما ازداد الظلام ازدادت الحاجة للبحث عن الضوء ، نجد الخامس من حزيران يمثل ذويتين :

١ - ذروة ما يمكن ان يصل اليه العرب والفلسطينيون من ياس لم يدم سوى شهور قليلة

٢ - ذروة النشاط والاعتماد على النفس بالنسبة لجماهير الفلسطينيين بعد اكتشافها لعقم الاساليب القديمة والانتظار حتى يهبط الحل عن طريق غيرها .

ومن هذه الزاوية نستطيع ان نرى ان الخامس من حزيران كان بدء ميلاد جديد

لكني لكي يفهم كل الناس ما فلت
أعيد
نحن في الخامس
من شهر حزيران
ولدتنا من جديد (٢)

وبالنسبة للنتيجة الثانية من نتائج الخامس من حزيران ، ونقصد بها خروج الانسان الفلسطيني الى حيز العمل بشكل سافر ، كان هذا الخروج واضحا في شكلين : اما الشكل الاول فكان القناعة التامة لدى الطليعة الواعية من ابناء هذا الشعب بافلاس الخطب النارية وعجز الاساليب السياسية وحيز العمل النظري عجزا وافلاسا كاملين . فلا نقاش المفاهيمي بمجرد ولا الشعر والنثر يمكن تقديم الحل وتطبيقه ان لم يجاوز مواقفه ليتحول الى تشيد يعلو من خلال المعركة وفوق ارضها . ان هذا هو ما يقوله لنا الشاعر فواز عبيد ايضا في قصيدة « السهوب » وكذلك في قصيدة « الاشجار على الضفة » . ففي السهوب نجد ان الشاعر يرمز لنا بها الى ارض المعركة مكان العراك والصراع الذي كان الشاعر ينتعد عنه موفنا ان الكلمة قد تستطيع ان تحل له مشكلته الا انه من خلال النقاش والحوار بينه وبين زميلة تائرة يتضح له الخطأ الذي هو واقع فيه . هذه الزميلة التي كانت مثله يوما همها فراءة الشعر والنثر ومقارعة الافكار من خلال الجلسات الهادئة وارتشاف اكواب الشاي الساخنة في مقاصف جامعة دمشق ونواديبها على وجه التحديد . ان التائرة لخصت للشاعر موقفها وسبب التحول الذي جعلها على حد تعبيره تائرة تزور نارا في التلال بان السبب هو ان كل الاشعار لا تستطيع طمعا ان بقيت كاشعار ولم تدفع بنا الى حيز الممارسة ان تبت زهرة واحدة في السهوب .

(٢) - من قصيدة « حدث في الخامس من حزيران » لسميح القاسم

اما في قصيدة « الاشجار على الضفة » فنجد موقف الشاعر الذي تجرع المرارة كل يوم عددا من المرات من خلال قهوته المرة التي كان يرشفها حتى بلغ به الصبر حدود النهاية فاذا به يلقي الكتب ويتترك ابناءه وكل شيء ليذهب الى الساح الحقيقي مصمما على ان يمزق اسباب ضياعه وغربته بحد السلاح

وودعناه أهديناه أسفارا
فأخرج مديّة معقوفة .. وطوى حقيبتيه
وضيعناه في بسمه
وتمتم أنتم الاغراب
ولوّح في الصباح وغاب
طوى اوراقه ومضى .. وخلفنا
صفارا ... نقرض الاشمار

اما الشكل الثاني لحركة العرب الفلسطينيين ، فهو حركة الجماهير العريضة ، هذه الجماهير التي كانت تقبع في محطات السياحة او ما يسمى بالخيّمات ولكنها كانت تنام وتقوم وهي تحضن حلمها الجريء الكبير بانفجار الثورة . ولئن كانت في انتظارها ذلك لا يبدو منها للمشاهد البعيد ما يدل على حركتها فاننا لو اقتربنا لوجدناها في حالة ارهاص شديد لتلقف شرارة الثورة فما كادت تشعر بتحرك طليعتها المقاتلة التائرة ، هذه الجياد النافرة ، وافلاتها من عقابها حتى تهللت منها الاعماق وشعرت بشيء حار يجري في عروقها من جديد . انه دم الثورة وريحها الفتية الحميقية استطاعت الجماهير الاحساس بها ومعرفتها بطبيعتها النقية وفطرتها السليمة . هذه الطبيعة ذاتها التي كانت تدفعها لان تشيع بوجهها عن كل حرب الاذاعات والمكروفونات وعن كل تلك الخطب التي تشرح طريق العودة الى فلسطين ..

ان اندلاع الثورة الفلسطينية بعد ما ينيف على عشرين عاما انما كان حقا امرا شبيها بالمعجزات ولكن الجماهير لا تفقد ايمانها بالمعجزات ان كانت من صنع الشعب وروحه . كما انها اول من يشعر بها :

ويصهل خلف سور الدار صوت جواد
فتضطرب النوافذ تفتح الابواب
وتهتف شيخخة في الركن : ان قد عاد

ان عودة هذا الفارس مع كل ما يحيط بها من الروعة انما تنعكس ايضا انعكاسا صادقا رائعا في قصيدة « الكلدان والمنفى » حيث يستعيد الشاعر شخصية بختنصر ليرمز به وبعودته الى عودة الشاعر الفلسطيني والى روح الشعب الثائر بختنصر عاد حيا

عاد مجنوننا وشاعر
سامريات رأينه

كان فوق البرج رمحا

ويتحدث بختنصر فيعرب عن هويته يطمئن الكبار ويبشر الصغار بان القد لهم وبان ما مضى مضى وبان درب الآلام انما يخطو فيه هذا الشعب الخطوات الاخيرة

لا تخافوا .. لست ربا حاقدا ...
لا .. لست طيفا

أنا سيف كان مدفونا .. وعاد
كنت في المنفى حبيسا .. ورجعت
لم امت .. نمت قرونا .. وبعثت
وترامت في فرار النهر اصوات رهيبه
الف طوبى للصغار

ألف طوبى للمصلين على ضوء النهار ..

واخيرا اجد من نافلة القول ان الديوان انما كان انعكاسا صادقا لصورة الشباب الفلسطيني في ضياعه وثورته وتقلبه من الحريق الى الحريق عبر المراحل المختلفة التي مر بها .

وليد حاج عبد

دمشق